دعوة إلى المنهج المقارن في دراسة الأدب العربي

الدكتور عبد النبي اصطيف*

الملخص

ينطلق البحث في دعوته إلى المنهج المقارن في دراسة الأدب العربي من مسوّغات موضوعية كافية تنبع من طبيعة هذا الأدب:

- أولها أن أداته، وهي اللغة العربية، قد تفاعلت عبر العصور مع مختلف اللغات القديمة والوسيطة والحديثة، واقترضت منها وأقرضتها، واستعان دارسوها بما في مكتبات هذه اللغات من دراسات في تدبُّرهم لنظام هذه اللغة، مثلما أعانت دارسي اللغات الأخرى في دراستهم لأنظمة تلك اللغات.
- وثانيها أن منتجيه، سواء أكانوا من العرب الناطقين بالعربية، أم من المسلمين وغير المسلمين الناطقين بغيرها، انخرطوا في تفاعل مستمر وحميمي بين ثقافاتهم المختلفة.
- وثالثها أن هذا الأدب قد تفاعل بدوره مع آداب العالم، قديمها ووسيطها وحديثها - الأمر الذي ربما لم يتيسر لأدب آخر سواه.

ومن الغريب أن ثمة من يماري في هذه الحقائق، وينكر على المقارنين سعيهم إلى دراسة الأدب العربي دراسة مقارنة، بل إن بعضهم من الدارسين العرب والمستعربين ينكرون أي تأثير يمكن أن يكون قد خلَّفه هذا التفاعل بين الأدب العربي والآداب الأخرى في أي من طرفي العلاقة القائمة بينهما، مستندين إلى أصالة مزعومة، غافلين عن حقيقة أن جميع الثقافات الإنسانية ثقافات مولَّدة hybrid، وأن جُلّ آداب العالم، إن لم يكن جميعها، مولَّدة بهذا المعنى، وأنه لم ينج أي أدب من قدَر التفاعل مع الآداب الأخرى.

وبعد مناقشة البحث لمسوغات هذه الدعوة مناقشة مستفيضة موثَّقة، يتوقف عند موقف المنكرين لها، ليختم بمثال تطبيقي يوضح ما تنطوي عليه من إثراء، ليس لدراسة للأدب العربي والآداب الأخرى فقط، وإنما لنظريات الدرس المقارن للأدب عامة أيضاً، فضلا عما تُتيحه من فسحة شراكة معرفية بين دارسي الأدب العربي من العرب والمستعربين، وما تُيسِّره من فرص لتعزيز التفاهم بين شعوب الشرق والغرب، وبخاصة في عصر تغلب عليه المواجهات والصدامات بين الثقافات.

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

يرد هذا البحث باللغة الإنكليزية في الصفحات (29–53)